

من نواجر وطرائف الحرب

5

العقد الثمين

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود

بريشة: أ. عبد الشافي سيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى



طبع ونشر
المؤسسة العربية الجديدة
تطبع والنشر والتوزيع
TANVIN - JAFFEL - 94-918
فلسطين - 2000

في عصر الدولة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف ..
وبالتحديد في عهد الخليفة العباسي «عُضد الدولة» حدثت هذه
القصة الطريفة ..

في ذلك العصر البعيد كان الناس يسافرون من بلد إلى بلد
على ظهور الدواب كالخيل والحمير والبغال والجمال . أو
يسافرون في البحر على ظهور السفن الشراعية ، فلم تكن السيارات



والقطارات والطائرات والسفن التي تعمل بمحركات قد
اخترعت بعد ..

وكان الناس يحملون معهم أموالهم من بلد إلى بلد ، وكانت
هذه الأموال عرضة للسرقة والضیاع ، حيث لم تكن هناك
بنوك ، ولا مصارف ليحفظ الناس فيها أموالهم ، أو يحولوها إلى
البلد الذي يقصدونه ..

وفي ذلك العصر البعيد ، قرر رجل خراساني الخروج من
بلده « خراسان » قاصدا بيت الله الحرام في مكة المكرمة ؛



لأداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول ﷺ في المدينة المنورة ..
ولما كانت الأموال التي سيحملها الخراساني معه أموالاً
كثيرة وتفوق نفقات رحلته إلى الأراضي الحجازية ، فقد قرّر
أن يشتري بالأموال الزائدة عن حاجته عقداً من الماس ،
يسهل عليه أن يخفيه بين متاعه ، فلا يكون عرضة للضياع أو
السرقه من اللصوص وقطاع الطرق ..

اشترى الخراساني عقداً نادراً من الماس بألف دينار ذهباً ،
وألف دينار في ذلك الوقت مبلغ كبير جداً ..

مر الخراساني في طريقه إلى الأراضي الحجازية بمدينة
بغداد ، وهي في ذلك الوقت عاصمة دولة الخلافة ، ومدينة
من أغنى مدن العالم ، وأكثرها بهاء وثراء ..

وهناك تهيأ للسفر مع قافلة من الحجاج ، لكن الناس
حذروهم من حمل هذا العقد الثمين معه ، خشية سرقته من قطاع
الطرق الذين يتربصون بالقوافل في الصحراء ، ويسطون على
الأموال والممتلكات ، فحزن الخراساني حزناً شديداً ، وندم
على تسرعه في شراء ذلك العقد الثمين من الماس ، وكاد
يلغى رحلته للحج ويعود إلى بلده ، لولا أن واثته فكرة ، وهي أن

يَتْرُكُ الْعَقْدَ الثَّمِينِ أَمَانَةً لَدَى أَحَدِ تُجَّارِ بَغْدَادِ الْمُتَصَفِّينِ
بِالْأَمَانَةِ، حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْأَرْضِ الْحِجَازِيَّةِ فَيَسْتَرِدُّهُ، عَائِدًا بِهِ
إِلَى خُرَاسَانَ ..

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الزَّمَنِ ، كَانَ النَّاسُ يُودِعُونَ أَمَانَتَهُمْ لَدَى
الْمُتَصَفِّينَ بِالْأَمَانَةِ ، ثُمَّ يَعُودُونَ وَيَسْتَرِدُّونَهَا ، فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءُوا ..



سَأَلَ الْخُرَاسَانِيُّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ يَتَّصِفُ بِالْأَمَانَةِ ،
فَدَلَّهُ النَّاسُ عَلَى عِطَارٍ مَشْهُورٍ بِالْأَمَانَةِ فِي سُوقِ بَغْدَادَ ، وَيُدْعَى
التَّاجِرَ (فَخْرُ الدِّينِ) فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَامِلًا عِقْدَهُ الثَّمِينِ ، وَقَدْ لَفَّهُ
فِي قِطْعَةٍ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ ..

كَانَ التَّاجِرُ فَخْرُ الدِّينِ جَالِسًا فِي حَانُوتِ عِطَارَتِهِ ، فَالْقَى
الْخُرَاسَانِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ .. ثُمَّ قَالَ :

- سَمِعْتُ الْكَثِيرَ عَنْ نِزَاهَتِكَ وَأَمَانَتِكَ وَصِدْقِكَ ...

فَقَالَ الْعِطَارُ فِي تَوَاضُعٍ :

- هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، فَالْأَمَانَةُ وَالصَّدْقُ هُمَا أَهَمُّ صِفَتَيْنِ يَجِبُ
أَنْ يَتَحَلَّى بِهِمَا التَّاجِرُ ..

وَأَضَافَ الْخُرَاسَانِيُّ قَائِلًا ، وَقَدْ اسْتَوْثِقَ مِنْ أَمَانَتِهِ :

- لِهَذَا جِئْتُ أَسْتَوْدِعُكَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ ، حَتَّى أَعُودَ مِنْ أَدَاءِ

مَنَاسِكَ الْحَجِّ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْعِطَارُ ، قَائِلًا :

- مَا الْأَمَانَةُ الَّتِي تَوَدُّ تَرْكُهَا عِنْدِي ؟ !

فَفَتَحَ الْخُرَاسَانِيُّ اللَّفَافَةَ الْحَرِيرِيَّةَ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا عِقْدَهُ الثَّمِينِ ،

قَائِلًا :

- هَذَا الْعِقْدُ ..

وَنَظَرَ الْعَطَّارُ إِلَى الْعَقْدِ ، مُتَأَمِّلًا إِيَّاهُ فِي انْبِهَارٍ .. ثُمَّ قَالَ :

- عَقْدٌ ثَمِينٌ مِنَ الْمَاسِ الْحَرِّ .. لَمْ أَرِ فِي حَيَاتِي عَقْدًا بِهَذِهِ الرُّوعَةِ ..

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِيُّ :

- لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْهِ مِنَ السَّرِقَةِ أَوْ الضَّيَاعِ فِي الطَّرِيقِ ، وَلِهَذَا

جِئْتُكَ بِهِ ؛ لِتَحْفَظَهُ لِي حَتَّى أَعُودَ ..

فَتَبَسَّمَ الْعَطَّارُ قَائِلًا :

- حَجٌّ مَبْرُورٌ وَذَنْبٌ مَغْفُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَا أَخِي .. اذْهَبْ سَالِمًا ،



وَعَدَ سَالِمًا ، وَلَا تَخْشَ عَلَى عِقْدِكَ شَيْئًا ، فَهُوَ فِي الْحِفْظِ
وَالصَّوْنِ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَرِدَّهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ تَشَاءُ ..
فَشَكَرَهُ الْخُرَاسَانِيُّ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْصِرَافِ ، حَتَّى يَلْحَقَ
بِالْقَافِلَةِ الْمُسَافِرَةِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ..
أَمَّا الْعِطَّارُ الْمُتَّصِفُ بِالْأَمَانَةِ ، فَقَدْ أَخَذَ يُقَلِّبُ الْعِقْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِإِعْجَابٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :
- هَذَا عِقْدٌ نَادِرٌ وَلَا يُوْجَدُ فِي سُوقِ بَغْدَادَ كُلِّهَا عِقْدٌ مِثْلُهُ ..



لَوْ أَنَّنِي أَمْتَلِكُ عَقْدًا مِثْلَهُ !؟

ثُمَّ لَفَّ الْعَطَّارُ الْعَقْدَ فِي لِفَافَتِهِ ، وَوَضَعَهُ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَمَانَاتِ ..
مَضَتْ أَيَّامٌ وَأَسَابِيْعٌ وَشُهُورٌ ، وَالْعَقْدُ الثَّمِينُ مُودَعٌ فِي خَزَانَةِ
الْعَطَّارِ ، الَّذِي وَسَّوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ بِخِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى
الْعَقْدِ ، وَظَلَّ يُوَسَّوِسُ لَهُ لَيْلَ نَهَارٍ ، حَتَّى ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَتَنَاقَى إِلَى
خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ ، وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْعَقْدِ ...



وَذَاتَ يَوْمٍ عَادَ الْخُرَاسَانِيُّ مِنَ الْحَجِّ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى حَانُوتِ
الْعُطَّارِ فَخَرَّ الدِّينَ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ .. ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْهُ مُصَافِحًا
فِي حَرَارَةٍ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَيُّهَا الْعُطَّارُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ ، لَمْ أَجِدْ مَا أُعَبِّرُ لَكَ بِهِ عَنْ مَدَى
شُكْرِي وَتَقْدِيرِي لِأَمَانَتِكَ ، سِوَى هَذِهِ الْهَدِيَّةِ الْمُتَوَاضِعَةِ ،
وَأَرْجُو أَنْ تَقْبَلَهَا مِنِّي ..

وَقَدَّمَ لَهُ عِبَاءَةً مِنَ الصُّوفِ .. وَبِرَّغَمِ أَنْ الْعُطَّارَ فَخَرَ الدِّينَ قَدْ
تَعَرَّفَهُ مِنْذُ الْوَهْلَةِ الْأُولَى ، إِلَّا أَنَّهُ تَظَاهَرَ بِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ لَهُ ، وَقَالَ :
- أَقْبَلُهَا مِنْكَ بَأَيَّةٍ مُنَاسِبَةٍ ، وَأَنَا لَمْ يَسْبِقْ لِي مَعْرِفَتُكَ ، أَوْ
التَّعَامُلُ مَعَكَ ؟ !

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ مُعْرِفًا نَفْسَهُ :

- أَنَا صَاحِبُ الْعَقْدِ ..

فَقَالَ الْعُطَّارُ :

- أَيْ عَقْد ؟ !

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ مُذَكِّرًا إِيَّاهُ :

- الْعَقْدُ الْمَاسِيُّ ، الَّذِي أَوْدَعْتَهُ أَمَانَةً لَدَيْكَ ، حَتَّى أَعُودَ مِنْ

أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ .. لَقَدْ عُدْتُ لِأَسْتَرِدُّهُ .. فَقَالَ الْعُطَّارُ
مُتَهَكِّمًا :

- أَنَا لَا أَعْرِفُكَ ، وَلَا أَفْهَمُ عَنْ أَيْ شَيْءٍ تَتَحَدَّثُ ؟ !

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِيُّ :

-العقد الذي كان ملفوفاً في قماشة خضراء .. تذكر يا أخي
فهذا العقد كل ما تبقى لي من مال ، وأنا أريد العودة إلى بلدي ..
وظل الخراساني المسكين يذكر العطار ، لكن العطار ظل
على إنكاره حتى صاح مهتداً :



- جئتنى بهدية تافهة : لتدعى على بعقد ثمين أيها اللص
المخادع .. اغرب عن وجهى ، وإلا حطمت رأسك ..
وتجمع بعض التجار من أصحاب الحوانيت فى سوق بغداد
لفض المشاجرة بينهما ومعرفة ما حدث ، فقال العطار :
- ذلك اللص المخادع يدعى أنه أعطانى عقداً ثميناً لأحفظه له
على سبيل الأمانة ، وجاء ليسترده ..

وشرح لهم الخراسانى المسكين قصة العقد من البداية إلى
النهاية ، لكن أحداً لم يصدقّه .. فالجميع يعرفون أن العطار
موصوف بالصدق والأمانة . ولا يمكن أن يطمع فى أى شىء ،
حتى لو كان عقداً من الماس ، وهم لا يعلمون أن الشيطان قد
وسوس له بالاستيلاء على العقد ..

وتعاون الجميع على طرد الخراسانى المسكين ، حتى
لا يشوه بصياحه سمعة العطار المشهور بالأمانة ، فجلس
المسكين فى ركن خارج السوق ، وأخذ يبكى حظه التعس الذى
أوقعه فى ذلك العطار .. وراح يفكر فى طريقة يحصل بها على
نقود ليعود بها إلى بلده . بعد أن طرده العطار عدة مرات ،
ويعس من إعادة العقد ..

وبينما هو على هذه الحال ، أشفق عليه بعض الناس وسألوه

عن سبب حزنه وبكائه ، فقص عليهم الخراساني قصته ،
فنصحهم بعضهم أن يتوجه إلى قصر الخليفة عضد الدولة ، الذي
اشتهر بذكائه ، وإقراره العدل بين الناس ، فهو الوحيد في هذه
المدينة الذي يستطيع حل غموض اللغز ، وإعادة العقد إليه ..
توجه الخراساني إلى قصر الخلافة في بغداد ، محاولاً



الدخول لمقابلة عضد الدولة . أكثر من مرة . لكن الحراس في كل مرة كانوا يدفعونه بعيدا ، ويمنعونه من دخول القصر .. وفي النهاية كتب الخراساني قصته مع العطار في رقعة وقدمها لرئيس الحراس ، متوسلا إليه أن يقدمها للخليفة .. قرأ الخليفة عضد الدولة قصة الخراساني مع العطار ، الذي



استولى على عقده الثمين ، وصاح مناديا الحاجب ، فلما مثل
بين يديه قال له :

- أدخل ذلك الخراساني صاحب الشكوى ..

فسارع الحاجب بإدخال الخراساني ، فلما وقف أمام عضد
الدولة سألَه قائلاً :

- حين أودعت العقد أمانة لدى العطار فخر الدين ،

هل أخذت منه حكا يفيد أنك سلمته العقد ؟ !

فقال الخراساني :

- لا ..



فَقَالَ عَصْدُ الدَّوْلَةِ :

- هل يوجد شهود يشهدون أنك سلمته العَقْد ؟ !

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- لا .. ولكنني أقسم إنني سلمته العَقْد على سبيل الأمانة ..

فَقَالَ عَصْدُ الدَّوْلَةِ :

- سَأرى من الصَّادِق منكما ومن الكاذب ..

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- وفق الله الخليفة لإظهار الحق ..

فَقَالَ عَصْدُ الدَّوْلَةِ :

- اذهب غداً إلى حانوت العطار فخر الدين ، واجلس أمامه ..

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- سينهرني ويطرُدني ، كما طردني من قبل ..

فَقَالَ عَصْدُ الدَّوْلَةِ :

- إذا طردك ، فاحرص على أن تجلس في الجهة المُقابِلة

لحانوته ، وواظب على الجلوس هناك ثلاثة أيام مُتتالية ، فإن

أعاد إليك العَقْد ، فتعال وأخبرني بما حدث ..

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- فإذا لم يعطيني العَقْد ؟ !

فقال الخليفة :

- في اليوم الرابع سوف أمرُ عليك في موكبي ، وألقى عليك
السَّلامَ ، فإياك أن تنهض لى ..

فقال الخراساني مستنكراً :

كيف لا أنهض احتراماً لك ، وأنت خليفة المسلمين ، وليس
فى الدولة كلها من هو أرفع مكاناً منك !؟



فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- نَفَّذْ مَا أَقُولُ لَكَ .. إِيَّاكَ أَنْ تَنْهَضَ لِي ، وَلَكِنْ رُدَّ عَلَى السَّلَامِ ،
وَأَجِبْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي مَكَانِكَ ..
وَبَعْدَ انْتِصَرَفَنِي عُدَّ إِلَى الْعِطَارِ وَاطْلُبْ مِنْهُ عَقْدَكَ مَرَّةً أُخْرَى .. ثُمَّ
تَعَالَى إِلَيْنَا هُنَا وَأَخْبَرَنِي بِمَا حَدَثَ ..



فقال الخراساني:

- سَمْعًا وَطَاعَةً أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ ..

وفي اليوم التالي توجه الخراساني إلى حانوت العطار، وحاول أن يجلس أمامه كما أمره الخليفة فنهزه العطار وطرده، وحاول الاعتداء عليه بالضرب ..

فذهب الخراساني إلى الجهة المتقابلة لحانوت العطار وجلس كما أمره الخليفة من الصباح إلى المساء بحيث يراه العطار طوال الوقت ..



ولكن العطار لم يرق قلبه له ، أو يشفق عليه ، فعيده إليه
عقده ، حتى يعود إلى بلده ..

وقد واطب الخراساني على ذلك ثلاثة أيام متتالية ..
وفي اليوم الرابع ، سمع الناس في السوق صياحا وضوضاء
وجلبة .. وسرعان ما طهر العسكر والحراس ، وهم يوسعون
الطريق لمرور الخليفة عضد الدولة في موكبه الفخم يحيط به
الوزراء وكبار رجال الدولة ..

استمر موكب عضد الدولة في سيره داخل السوق ، والتجار
يخرجون من حوانيتهم احتراماً له ، حتى وصل إلى حانوت
العطار ، فلمح الخراساني جالسا في الجهة المقابلة ، فتوجه
إليه مرحباً به :

- من أرى ؟! صديقي أبا خالد الخراساني ؟! كيف حالك
يا أخي ؟!

فلم يتحرك الخراساني من مكانه ، ورد عليه قنلاً :
- أحمده الله على كل حال ..
- فقال عضد الدولة :

- أنا عاتب عليك يا أبا خالد .. كيف تأتي بلداً بغداً
ولا تفكر في زيارتي والنزول علي ضيفاً في قصري ، كما

كَانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ ؟ !

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِيُّ :

- مَنَعَنِي مِنْ زِيَارَتِكَ بَعْضُ الْمَشَاغِلِ فِي بَغْدَادَ .. عِنْدَمَا أُنْتَهِيَ

مِنْهَا سَوَّفُ أَمْرٌ عَلَيْكَ ..

فَقَالَ عَصَدُ الدَّوْلَةِ :

- أَنَا فِي انْتِظَارِكَ يَا أَخِي ، فَلَا تَتَأَخَّرْ عَلَيَّ ..

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِيُّ :

- إِنْ شَاءَ اللَّهُ ..



وَابْتَعَدَ الْخَلِيفَةُ فِي مَوْكِهِ ، وَكَانَ الْعَطَّارُ فَخْرُ الدِّينِ يُرَاقِبُ
مَا يَحْدُثُ ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى مَا دَارَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ
وَالْخُرَّاسَانِيِّ فِي رُغْبٍ ..
فَلَمَّا رَأَى الْخَلِيفَةُ يَنْصَرِفُ اقْتَرَبَ مِنَ الْخُرَّاسَانِيِّ وَخَاطَبَهُ
فِي احْتِرَامٍ قَائِلًا :

- مِنْ فَضْلِكَ يَا أَخِي ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْخُرَّاسَانِيُّ مُتَعَجِّبًا ، وَقَالَ :

- نَعَمْ أَيُّهَا الْعَطَّارُ ..

فَقَالَ الْعَطَّارُ :

- ذَكَرَنِي مَرَّةً أُخْرَى بِالْعَقْدِ الَّذِي أَوْدَعْتُهُ عِنْدِي ، فَإِنْ ذَاكَرَتَنِي
ضَعِيفَةً ، وَمُنْذُ طَالَبْتَنِي بِهِ وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَتَذَكَّرَ أَيْنَ وَضَعْتُهُ ،
لَكِنْ ذَاكَرَتَنِي تَابِي إِلَّا أَنْ تَخْذُلَنِي ..

وَأَعَادَ الْعَطَّارُ الْعَقْدَ الثَّمِينِ لِلْخُرَّاسَانِيِّ ، فَذَهَبَ بِهِ فِي الْحَالِ
إِلَى الْخَلِيفَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، الَّذِي نَظَرَ إِلَيْهِ قَائِلًا :

- هَا قَدْ عَادَ إِلَيْكَ عَقْدُكَ الثَّمِينُ أَيُّهَا الْخُرَّاسَانِيُّ ..

فَقَالَ الْخُرَّاسَانِيُّ فِي تَأَدُّبٍ :

- الْفَضْلُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْهَمَكَ هَذِهِ الْحِيلَةَ الذَّكِيَّةَ ، وَإِلَّا ضَاعَ عَقْدِي
وَلَمْ أَسْتَطِعْ اسْتِرْدَادَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعِطَارِ الَّذِي خَانَ الْأَمَانَةَ ...
فَقَالَ غَضْبًا الدَّوْلَةُ :

- خُذْ عَقْدَكَ وَعُدْ إِلَى بَلَدِكَ سَالِمًا .. أَمَّا ذَلِكَ الْعِطَارُ ، الَّذِي
اِئْتَمَنَ فَخَانَ ، فَسَوْفَ يَكُونُ لِي مَعَهُ شَأْنٌ آخَرُ .. وَأَمْرٌ الْخَلِيفَةُ



عَضُدُ الدَّوْلَةِ رَئِيسَ الحُرَّاسِ أَنْ يَتَّجِهَ إِلَى سُوقِ بَغْدَادَ ، وَأَنْ
يَقْطَعَ يَدَ العَطَّارِ الخَائِنِ للأَمَانَةِ ؛ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ تُسَوَّلُ لَهُ
نَفْسُهُ خِيَانَةُ الأَمَانَةِ مَرَّةً أُخْرَى ..

وهكذا عاد العَقْدُ الثَّمِينُ لصَاحِبِهِ الخُرَّاسَانِي ، بِفَضْلِ حِيلَةٍ
وَذَكَاءِ الخَلِيفَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وإِصْرَارِهِ عَلَى إقْرَارِ الحَقِّ
وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ ...

(تَمَّتْ)